

## الاحترام في مدرسة القرآن



في مدرسة القرآن دروس كثيرة وغنية في تعلم التالي للكتاب (المتلمذ على يديه) كيف يحترم الآخر (موالفاً) أم (مخالفاً).

ففي حين ينتقد القرآن أهل الكتاب الذين لا يحترمون بعضهم بعضاً، ويرى كلُّ أهل كتاب أنَّهم أرقى وأفضل ديناً ومقاماً عند الله من غيرهم، وأنَّهم (أي الطرف الآخر) ليس على شيء، كما في اتهام اليهود للنصارى أنَّهم ليسوا على شيء، وكما في اتهام النصارى اليهود أنَّهم ليسوا على شيء، وفي حين ينهى القرآن عن السخرية والاستخفاف بالآخر عسى أن يكون خيراً من الساخر عند الله، وأن لا ينظر نظرة دونية أو ازدرائية إلى مَن هم (بسطاء) أو ما يصطلح عليهم وجهاء قوم نوح بـ(الأراذل)، وأن لا يرى أهل الأديان السابقة أن لا سبيل عليهم في الأُممَين (أهل مكّة)، فيعمدون إلى انتهاك حقوقهم، أو يبيحون الاعتداء عليهم والسرقة منهم، أو التجاوز عليهم بأي نحو من أنحاء التجاوز والافتراء..

وفي حين يُحدِّثنا القرآن عن استغراب (شُعيب (ع)) احترام قومه لبعض الأشخاص الذين كانوا معه، من دون أن يحترموا موقعه كـ(نبي)، و شأنه باعتباره ممثلاً للسماء، و مقاماً بصفته داعيةً إلى الله

وإلى ما ينفعهم .

لائق محترم يتNASAب ومقام النبوة، فلا يُنادي من وراء الحجرات، وأن تُحترَم خصوصيته البيتية، فلا يُطيل المدعون إلى ضيافته الجلوس عنده، وأن لا يحادثوه في ما يحمل وما لا يحمل، وبما يستحقّ وما لا يستحقّ من أحاديث تشغله أو تصرفه عن اهتماماته وشأنه النبوية والمجتمعية والتعليمية الأخرى.

في مقابل كل ذلك، يُلْفِت القرآن النظر إلى احترام المقام والشأن والدرجة، وتعظيم مَنْ حَقٌّهُ التعظيم: هـمـا لـكـمـ لا تـرـجـونـ لـلـهـ وـقـارـا (نوح/ 13)، لا بمعنى التوقير البيني<sup>١</sup> أي بين بني الإنسان نفسه، بل بما يستحقه<sup>٢</sup> مَقام الربوبية من تعظيم، وإجلال، واحترام، وإكبار، بحيث لا يعيش الإنسان المعصية في حضرة (الشاهد) و(الحاكم) معاً، و يجعل الله تعالى أهون الناطرين إليه، وأخفـ المطـلـعـينـ عـلـيـهـ.

ويلفت الانتباه إلى احترام مقامات النبوة كلّها، بل احترام وصاية الأنبياء في (المودة في القربى)، واحترام مقام (الوصي) و(الولي)، كما احترام مقام النبي.

بل، إنَّ القرآن يُلْفِت العناية إلى احترام الحيوان، كما في احترام سليمان (ع) للنمل فلم يُحطّ به مساكنها، واحترام الكتاب (الرسالة) الواردة من شخص مرموق، كما في احترام (بلقيس) ملكة سباً لرسالة سليمان (ع) واهتمامها البالغ بها، بالتعاطي معها على أرْزَهَا (كتابٌ كريم).

وكما في احترام الوقت والموسم والحال، قال تعالى في صيد المُحرِّم: ﴿وَحُرْمَةٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمَة﴾ (المائدة/ 96)، وقال سبحانه في الهدنة: ﴿إِنَّمَا الظَّمَاءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُهَلِّ بِهِ الْأَذْيَنَ كَفَرُوا بِيُحِلَّتُونَهُ عَامًا وَيُحَلَّرُ مُونَهُ عَامًا﴾ (التوبه/ 37)، وقال جل جلاله في الصوم: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلَةِ﴾ (البقرة/ 187)، وقال عز وجل في حُرمة معاشرة النساء في المساجد لأنّها أماكن مخصصة للعبادة: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ (البقرة/ 187)، وفي احترام المال وعدم إعطائه للسفيه الذي لا يُحسّن التصرُّف به (أي إنّه لا يحترمه)، يقول تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الْأَتْيَيْ جَعَلَ إِلَيْكُمْ قِيَامًا﴾ (النساء/ 5).

وهكذا في عدم مقاربة النساء في المحيض، وفي كتابة الدّين وتوثيقه، وفي أي حكم إلهيٌّ أو

تشريعٍ .. وبمعنى آخر، فإنَّ للحلال والحرام - كما في الكتاب الكريم - حرمتها، وأي تجاوزٍ عليها يُعدُّ اعتداءً أو تعدِّياً على حدودِ الله (شريعته)، والمراد بالحُرمة في أحد أهم معانيها الاحترام: **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمُ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ** (الحج / 30).

المقدّسة الأخرى أيضاً في أن لا ندخلها منتعلين.

وكما أنّ من آداب احترام التلاوة لآيات الله في كتابه المجيد أن يتطهّر الإنسان: لا يَمْسِّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (الواقعة/ 79)، فإنّ التزام الطهارة في عموم العبادات، وإن لم يكن واجباً في بعضها، فهو من باب احترام العمل الذي يُقبلُ الإنسان عليه، زيارةً للكعبة المشرفة، أو المسجد النبويّ، أو أي مرقد مُبْجَلٍ ومُحترم عند المسلمين، أو لأي عمل صالح عبادياً كان أم غير عبادي.

وفي الجملة، فإنَّ القرآن كتابُ الاحترام بامتياز، يدعو إلى احترام القيم والأخلاق والعلاقات البينية المبنية على رباط مقدَّس، كالزوجية، والأخوة الإيمانية، واحترام أصحاب الديانات الأخرى ممَّن لا يناهضون ويعادون ويضطهدون المسلمين، بل يدعو القرآن إلى التعامل بالبر والعدل معهم: ﴿لَا يَنْهَاكُمْ أَنَّ الَّذِينَ لَمْ يُؤْقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ (المتحنة / 8).

ومن خلال هذا الاستعراض السريع وغير المستوفى لكل إشارات القرآن لاحترام، نخلص إلى أنَّ القرآن يعتبر (الاحترام)، وإن لم يرد فيه تعبيرٌ باللفظ، قيمةً من القيم الأساسية التي تُشادُ عليها الحضارات والمجتمعات الإنسانية الربانية، والأمثلة التي استلتناها من مدرسة القرآن ومنهجه العظيم، للدلالة لا للحصر، وبإمكان كل قارئ للقرآن أن يجد احترامات القرآن مبثوثة في كل مكان، سواء في خطاب الأنبياء لأقوامهم، أو خطاب الأبناء لآبائهم، أو خطاب الآباء لأبنائهم، أو في مخاطبة أهل الكتاب، أو المختلف والمخالف الآخر عموماً لاسيماً من خلال قاعدة الانطلاق من المساواة مع المُحاور أو المُخاطَب: ﴿وَإِنَّمَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدَى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبَيِّنٍ﴾ (سأ / 24)، وليس بين أيدينا احترامٌ للمختلف أشدَّ من احترام القرآن لهما.

إِنَّ الْقُرْآنَ يُقرِّرُ أَيْضًاً قواعدَ الْخَيْرِيَّةِ وَالْأَفْضَلِيَّةِ وَاحْتِرَامَ الْأَكْثَرِ عُلَمَاءَ وَعَمَلًاً وَتَقْوَىً وَأَخْلَاقًاً؛ إِنَّ الْأَكْرَمَ كُمْ عَنْدَهُ أَتْقَانَ كُمْ (الحجـراتـ / 13)، وَمَا دُعْوَةُ الْقُرْآنِ الْمُفْتَوَحَةِ

لـ (التعارف) إـلا دليلـ آخر على أنـ منطق القرآن هو احترام الاختلافات لما يترتبـ عليها من فوائد ومردودات طيبة على المجتمع الإنساني عمومـاـ .